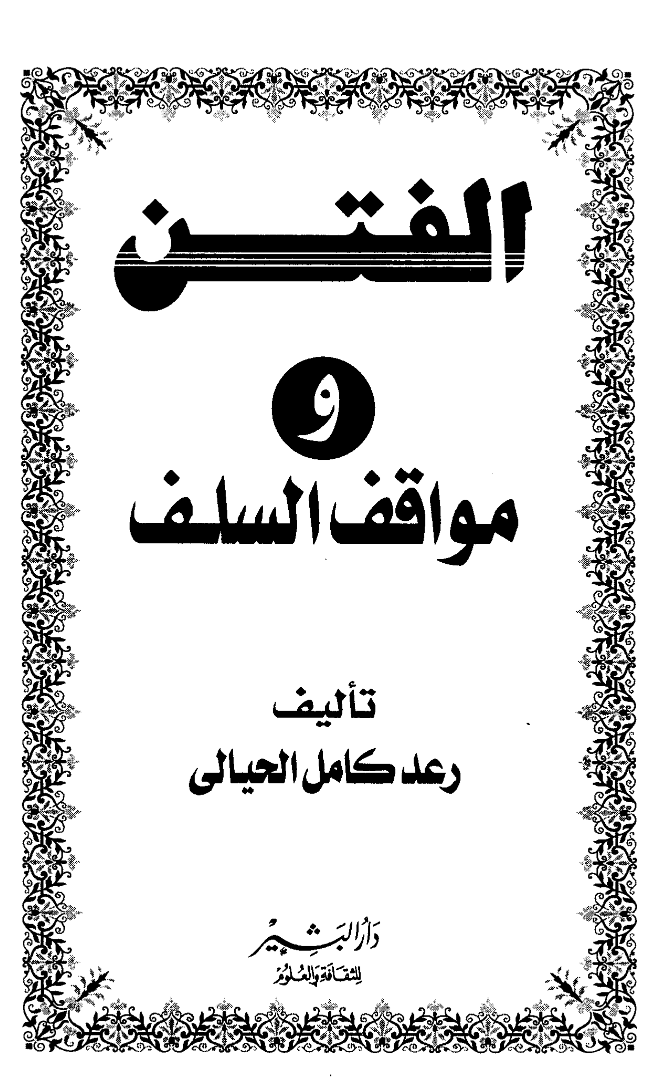


الفتن

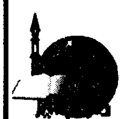
و

مواقف السلف

تأليف

رعد كامل الحيالي

دار البشير
للثقافة والعلوم



اسم الكتاب : الفتن ومواقف السلف.
التأليف : رعد كامل الحيالى.
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية.
عدد الصفحات : 72 صفحة.
قياس الصفحة : 10×16
عدد الطبعات : (الطبعة الأولى)
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم.
طنطا - 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس 040/3305538 - 040/3316316
Dar elbasheer@hotmail.com

الإيداع القانونى : 20558 / 2004
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 / 278 / 266 / 9

1425 هـ
2004 م

الفتـــن
ومـواقف السلـف



مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلاهادى له ، ولن تجد له من دون الله ولياً مرشداً .

ونصلى ونسلم على رسول الله ﷺ خير من ابتلى فصبر وشكر ، وجاهد حتى انتصر ، ورضى الله عن صحابته الغر الميامين الذين فتنوا فصدقوا ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى منَّ الله عليهم بالنصر المؤز ، والفوز المظفر .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[2] .

ثم أما بعد :

فقد تتابعت الفتن علينا ، وهجمت هجوماً شاملاً ، وهى فتن منوعة تشمل جميع الجوانب والمجالات ، فمنها ما هو موجه

(1) الآية الأولى من سورة النساء .
(2) الآيتان 70 : 71 من سورة الأحزاب .

للقلوب ، ومنها ما هو موجه للعقول ، ومنها ماهو موجه للأخلاق ، أو الأعراض ، أو الأموال .

فتن سياسية ، وفتن اقتصادية ، وفتن اجتماعية ، وفتن فنية وفتن فكرية ، وفتن سلوكية ، وفتن للرجال ، فتن للنساء ، وفتن العلماء ، وفتن للحكام ، وفتن للشباب ، وفتن تعرضها الإذاعات ، وفتن فى الصحف ، وفتن فى الأشرطة والأفلام وفتن فى الكتب ، وفتن فى البيوت ، أو الأسواق ، أو المؤسسات .

فتن وافدة ، وفتن محلية ، وفتن ينشرها أبناء الأمة ، وفتن ينشرها الآخرون . .

وكان الله فى عون الناس !!

وصدق القائل :

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكن سهم وثان وثالث

وإذا كان لابد من معرفة الفتنة ليتقى منها ، كما فعل حذيفة ابن اليمان ، حيث كان يسأله ـ ﷺ ـ عن الشر ، بينما كان الناس يسألونه عن الخير[1] ، صار لزاماً فى عصر الفتن وملامحها ، أن

---

(1) روى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا=

يتعرف دعاة اليوم عليها ، ليتقوا بعضها ، ويتجاوزوا عقباتها ، فكل امرىء متلبس بها ، لهذا قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « لا يقولن أحدكم : اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة ، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، لأنه الله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (1) ، فأيكم استعاذ ، فليستعذ بالله من مُضلات الفتن (2) .

ومن ضرورات التعرف عليها ، معرفة معناها لغة واصطلاحًا ، وأسبابها ، وأنواعها ، ومواقف علماء السلف منها : وهذا ما سنحاول الحديث عنه فى هذه الرسالة التى

= الخير من شر؟ قال : **نعم** قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : **نعم وفيه دخن** قلت : وما دخنه ؟ قال : **قوم يستنون بغير سنتى ، ويهتدون بغير هدبى ، تعرف منهم وتنكر** . فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال **نعم ،دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها** . فقلت : يارسول الله : صفهم لنا . قال : **قوم من جلدتنا ،ويتكلمون بألسنتنا** .

فقلت : يارسول الله : فما تأمرنى إن ادركنى ذلك؟ قال : **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك** » (رواه البخارى فى كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة . حديث رقم 6673 ، ورواه مسلم فى كتاب الإمارة . باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . حديث رقم : 1847) .

(1) الآية 15 من سورة التغابن .

(2) تفسير ابن كثير فى سورة الأنفال .

أعتبرها متممة رسالة سابقة صدرت لنا بعنوان (**الابتلاء والمحنة في حياة الداعية**) [1] .

هذا . . . ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يكتب بنا الفوز والنجاح إذا ابتلانا ، فإن المثبت على دينه هو الله سبحانه .

وأملي أن لا ينساني القارىء الكريم من دعواته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

رعد كامل الحيالي

العراق - موصل

ص.ب : **546**

2 شوال / 1417 هـ



(1) وقد صدرت هذه الرسالة بطبعتين عام **1994** ، وطبعت في مطبعة النواعير - رمادي ، ثم قمنا بضمها إلى كتاب لنا صدر مؤخرا بعنوان (منارات هادية على طريق الدعوة والداعية) - **1996** . مطبعة الخنساء - بغداد .

الفتنة فى اللغة

تأتى الفتنة فى اللغة بمعنى الاختبار والامتحان [1] .

فيقال : فتنت الذهب والفضة أى وضعتهما على النار وأذبتهما حتى يتميز الردىء من الجيد .

وفي الاصطلاح

فتن : امتحن واختبر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾[2] .

ويقال للصائغ : الفتان ، لأنه يصهر الذهب بالنار ويعمل منه الحلى بأشكال مختلفة ، ويعرف سليمه من مغشوشه .

والفتن : الإحراق بالنار ومنه قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** ﴾ [3]، أى يحرقون ، والفتنه المحنة .

---

(1) انظر / لسان العرب 17/ 194 - 198، والقاموس المحيط 4/ 256 ، والصحاح للجوهرى6/ 2175 - 2176 .
(2) الآيتان : 2، 3من سورة العنكبوت . .
(3) الآيتان : 161، 162 من سورة الصافات .

وفتنة الإزالة . ومنه فتن الرجل عن دينه ، أزاله عنه وغيّره فتركه، والفتن : الإضلال ، والفاتن المضل ومنه قوله تعالى ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾(1) .

والفتنة : العذاب، وفتنة : القتل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (2) أى يقتلونكم .

ووضح الراغب الأصفهانى (3) أن إطلاق كلمة الفتنة على فعل الله سبحانه ، يختلف على إطلاقها على فعل الإنسان ، فقال والفتنة من الأعمال التى تكون من الله تعالى ، ومن العبد ، كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة .

ومتى كان من الله تعالى يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك ، ولهذا يذم الله تعالى الإنسان بأنواع الفتنة فى كل مكان نحو قوله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾(4)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

---

(1) الآية : 101 من سورة النساء .
(2) شعبان زكى الفار ، سنة الإبتلاء ص 26-27 .
(3) سورة البقرة الآية : 191 .
(4) سورة البروج الآية : 10 .

وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[1]، ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾[2]، أى بمضلين . انتهى .

وبذلك يرتبط المعنى القرآنى بالمعنى اللغوى ، وتعطى اللغة ظلالها وإيحاءاتها، والله تعالى ، أعز وأحكم من أن يعذب المؤمنين بالابتلاء ، ويؤذيهم بالفتنة، وإنما أراد الله تعالى أن يميز من خلالها بين الحقيقة والتدليس، وذلك لأن (الإيمان ليس كلمة تقال ، إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء : وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلايكفى أن يقول الناس «آمنا» وهم لايتركون لهذه الدعوة حتى يتعرضوا للفتنة، فيثبتوا عليها، ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب والفضة لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب [3] .

وهكذا يكون الإعداد الحقيقى لتحمل الأمانة الثقيلة ، والصياغة التامة لإنجاز المتطلبات، إذ لابد من إقامة منهج الله فى الأرض ودعوة الخلق للهداية ، من صياغة نفسية وعملية تتمكن النفس بها من الصبر على الآلام، وتحمل مشقة الطريق ، والاستعلاء على الشهوات .

---

(1) سورة البروج الآية : 10

(2) سورة الصافات الآية : 162 .

(3) الظلال 5/ 2720 .

كثرة الفتن وتتابعها

أخبرنا رسول الله ﷺ أن هذه الأمة ستبتلى بابتلاءات عديدة وستفتن بفتن كثيرة حيث ستتابع عليها الفتن ، وتتلاحق وتزداد .

وحذرنا من الافتتان بتلك الفتن ، والسقوط فيها وطالبنا أن نبقى ثابتين على الحق معتصمين بحبل الله ، ملتزمين بهذا الدين .

1- فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « **ستكون فتن، القاعد فيها من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به** » (1) .

2- وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » (2) .

3- وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو

---

(1) رواه البخاري في كتاب الفتن : باب : تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم حديث رقم **6670** رواه مسلم في كتاب الفتن ، باب نزول الفتن ، حديث رقم : **288** .

(2) رواه مسلم في كتاب : باب الحث على المبادرة بالأعمال . حديث رقم : **118** ، والترمذي في كتاب الفتن : باب : ستكون فتن ، حديث رقم : **2196** .

ابن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه [1] ، ومنا من ينتضل [2] ، ومنا من هو فى جشرة [3] . . إذا نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى الرسول الله ﷺ : فقال : « **إنه لم يكن نبي قلبي ، إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . .**

وتجيء فتن ، فيرتق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه ، هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه . . .» [4] .

ونختم هذه الأحاديث بهذا الحديث الجامع الذى يأمر بمناعة القلب عند وقوع الفتن ، وعدم قبوله لها ، وإنكارها ورفضها .

---

(1) خباءة : هى المكان الذى يختبىء فيه .

(2) ينتضل : من المناضلة وهى المراماة بالنشاب .

(3) جُشَرَة : هى الدواب التى ترعى وتبيت مكانها .

(4) رواه مسلم فى كتاب الإمارة : باب وجوب الوفاء بالبيعة ، حديث رقم 1844 ورواه أبو داوُد فى كتاب الفتن . باب ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم 4248 ورواه النسائى فى كتاب البيعة ، باب ذكر من بايع الإمام . حديث رقم : 4191 .

4 - روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « **تعرض الفتن على القلب كالحصير ، عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها ، نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب انكرها : نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ،والآخر : أسود مرباداً** [1] **كالكوز مجخياً** [2] **، لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً ، إلاما أشرب من هواه** » [3] .

إن الدعوة إلى الله عزوجل صفقة ، ليس كمثلها صفقة ، إنها صفقة بين الله عزوجل وبين المؤمن ، شيخاً كان ، أو كهلاً أو شاباً ، أو فتى ، أو طفلاً ، يندرج تحت ذلك الرجال والنساء على حد سواء .

وهى صفقة حقاً ، وحقيقية ، المشترى فيها رب العزة عزوجل ، والسلعة فيها جنة الرضى والرضوان . والبائع فيها كل مؤمن ، رجلاً كان أو امرأة ، والثمن فيها النفس والمال .

والميدان فيها كل عمل أو قول يسهم فى نشر كلمة الله وإعزاز دين الله ، وسنام ذلك الجهاد وقتال ، فإما نصر وإما شهادة وإن كلاً لفيه خير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

(1) مُرباداً : شديد البياض فى سواد ، وقد يكون المعنى شبه البياض فى سواد .
(2) مجخياً : أى منكوساً .
(3) رواه مسلم : فى كتاب الايمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، حديث رقم : 144 .

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (1) .

ولهذا كان طريق الجنة صعباً ، وطريق الدعوة بالفتن أصعب وأشد الدعاة ابتلاء بالفتن الأنبياء ، والمرسلون ، فكان لابد للداعية فى قطار الدعوة التأمل فى قسوة الطريق ووعثاء السفر ، ويخاطب عندما يحب الراحة والدعة : «أين أنت والطريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح ، ورمى فى النار الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث فى السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وقاسى الضر أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داوُد ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد - ﷺ - تزهو أنت باللهو واللعب . .

فيادارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال (2)

وهكذا هو طريق الجنة وعر وشاق ، وإن سلعة الله غالية لاينالها إلا من دفع الثمن وسدد الحساب . . وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول **« من خاف أدلج (3) . . ومن أدلج بلغ المنزل . ألا أن سلعة الله غالية ، ألا أن سلعة الله هى الجنة »** (4) .

---

(1) الآية 111 من سورة التوبة .

(2) الفوائد لابن القيم ص 49 .

(3) أدلجّ : اذا سار من أول الليل .

(4) رواه الترمذى والحاكم .

والفتن مع هذا تعم جميع الخلق ، ولا مفر للإنسان منها ، ولكن شتان بين من يسقط فيها وبين من يتجاوز العقبة ، وشتان بين من ينجو ليكسب الأجر ، وبين من تكون وزراً عليه وجميع الخلق كادح إلى ربه كدحاً فملاقيه ، ومن الناس من يكدح ليلاقى العذاب فيكون كدح الدنيا كالجنة عنده ، وبين من يكدح ليتضاءل كل كده وكدحه أمام ثواب الله تعالى ورضوانه ، والخلق لابد أن يمتحن بعضهم ببعض، ولقد كتب الله ذلك على خلقه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ (1) فيفوز أصحاب الفلاح ، ويبوء الآخرون بالنار وبينهما منازل ومدارج (2) .

قال القرطبى فى تقسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ (3) وهو يوضح أنواع الفتن بالناس .

« أى إن الدنيا دار بلاء وامتحان ، فأراد الله أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم فى جميع الناس مؤمن وكافر ، فالصحيح فتنة للمريض ، والغنى فتنة للفقير ، والفقير الصابر فتنة للغنى ، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه ، فالغنى

(1) الدكتور عادل الشويخ/ مسافر فى قطار الدعوة ص 254 .
(2) الآية 20 من سورة الفرقان .
(3)سورة الفرقان : 20

ممتحن بالفقير ، عليه أن يواسيه ، ولا يسخر منه ، والفقير ممتحن بالغنى عليه ألا يحسده ، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه ، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار فى عصره ، وكذلك العلماء وحكام العدل ، ألا ترى إلى قولهم : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ (1) .

فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى ، ويحقر المعافى المبتلى ، والصبر أن يحبس كلاهما نفسه ، هذا عن البطر ، وذاك عن الضجر . . . (2) .

وهكذا امتحن جميع الخلق كما قلنا « فامتحان الرسل بالمرسل إليهم ودعوتهم إلى الحق ، والصبر على أذاهم وتحمل المشاق فى تبليغهم رسالات ربهم ، وامتحن المرسل إليهم بالرسل ، وهل يطيعونهم وينصرونهم ، ويصدقونهم ، أم يكفرون بهم، ويردون عليهم ، ويقاتلونهم؟ وامتحن العلماء بالجهاد هل يعلمونهم ، وينصحونهم ،ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم ، ولوازم ذلك؟ . . . وامتحن الجهال بالعلماء هل يطيعونهم ويهتدون بهم ؟ . .

---

(1) سورة الفرقان : 20

(2) تفسير القرطبى / 13/ 18 .

وامتـحن الرجل بامـرأته وامـرأته به ، وامـتـحن الرجـال بالنسـاء ، والنسـاء بالرجـال ، والمؤمنون بـالكفـار ، والكفـار بالمؤمنين ، وامتحن الآمرون بالمعروف بمن يأمرونهم ، وامتحن المأمورون بهم . . . [1] .



(1) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية 2/ 161 .

أسباب كثرة الفتن فى هذا الزمان

للفتن أسباب وعلل ، كما أن لها عوامل وظروفاً ، تساعد على انتشارها وتعاون على نموها ولايمكن علاج الفتن أو منعها إلا بمعرفة أسبابها ، ومنها ما يأتى :-

أولا: الانحراف عن منهج الله عزوجل ، وإقصاء الإسلام عن الوجود الفعلى المؤثر فى حياة المسلمين ، وإحلال التصورات والنظم الجاهلية مكانه ، وتحكمها فى حياتهم .

إن الانحراف عن منهج الله ليعتبر من أعظم أسباب وجود الفتن وحلول النقم، لأن القرآن هو حبل الله المتين ونوره المبين الذى من تمسك به عصمه الله ومن اتبعه أنجاه الله ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم .

لقد وجدت أنظمة فى بلاد المسلمين ، لا تحكم بشرع الله ، ولا تحكّم دينه ، وإنما تحكم الناس بالنظم والتشريعات الجاهلية .

وهذه الأنظمة، لم تحصن شعوبها تحصينا إسلامياً أمام الفتن الوافدة ، ولم تعمل على تربية هذه الشعوب تربية قرآنية ، ولم توجد عندهم المناعة الايمانية والحقائق القرآنية والأسس الإسلامية وكانت عاملة على التمكين للفتن الوافدة فى قلوب وحياة المسلمين ، ناشرة لها بينهم .

وصدق فى مسؤولى هذه الأنظمة قول الشاعر :

لايلام الذئب فى عدوانه   إن يك الراعى عدوَّ الغنم

ثانيا: مخالفة الرسول ﷺ من أعظم أسباب الفتن كما قال تعالى ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (1) .

وقد أوجب الله علينا التحاكم إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(2)

فالتحكيم فى مقام الإسلام وانتقاء الحرج مقام الإيمان والتسليم فى مقام الإحسان فمن استكمل هذه المراتب وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها ومن ترك هذا التحكيم المذكور جاحداً غير ملتزم له فهو كافر ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين .

ثالثا: ومن أسباب كثرة الفتن أيضاً : تحكم الجاهلية فى العالم ، وقيادتها للبشرية ، وبخاصة فى رأسيها : الرأس

(1) الآية 63 من سورة النور .
(2) الآية 65 من سورة النساء .

الصليبى الشيطانى المتمثل الآن فى أمريكا ، والرأس اليهودى الشيطانى المتمثل فى تحكم اليهود فى العالم وإنشاء دولتهم على أرض فلسطين .

لقد تفنن الشياطين اليهود والصليبيين الجاهليين فى ابتداع الفتن وتصنيعها وتزويقها وتجميلها وتكثيرها ، وخداع السذج بها وغرورهم بها .

ولعل من أخطر تلك الفتن هو إثارة العصبيات فى القرن الأخير ، وتحطيم الرابطة الإسلامية والدولة الإسلامية ، حيث دعا الأتراك إلى التركية ، والأكراد تنادوا إلى الكردية ، وفعل مثل ذلك البربر والعرب ، وثم جاءت الدعوة إلى الأوطان (1) ، فكل قوم يعيشون على بقعة من الأرض أقاموا عصبية منتمية إلى تلك البقعة ، وقامت دعوات تدعو إلى الاعتزاز بالفرعونية والآشورية والفارسية ، وقطع الترك كثيراً من الحبال التى كانت تربطهم بالإسلام ، وأصبح العالم الإسلامى على الصورة الكئيبة التى نراها عليه اليوم .

---

(1) إن الإسلام لايُلغى الانتماءات للأوطان والقبائل والشعوب ، ولكنّه لايسمح أن تجعل لغير ما أرادها الله له ، إن حكمة الله اقتضت تقسيم البشر إلى شعوب وقبائل للتعارف لا للتفاضل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

[سورة الحجرات : 13]

رابعا: التقدم المادى والعلمى والتكنولوچى المعاصر ، الذى نتج عنه إنتاج العديد من الرسائل الإعلانية والإعلامية التى لم تكن تخطر على بال أحد واستخدام هذه الوسائل كأدوات للتغرير والخداع ، والتأثير فى الآخرين .

« ففى القارة الأمريكية وحدها حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشؤون العالم الإسلامى . . وظيفة هذه المراكز : تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم ، ومن ثم دراسته وتحليله ، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار ، لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية . وتحدد وسائل التنفيذ »[1] .

«لقد أصبح كل شىء خاضعاً للدراسة والتحليل ، ولعل المختبرات التى تخضع لها القضايا الفكرية والثقافية، وجميع الدراسات الإنسانية اليوم ،توازى المختبرات التى تخضع لها العلوم التجريبية، إن لم تكن أكثر دقة واهتماماً، حيث لم يعد هناك مجال للكسالى والنيام ، والمتخاذلين والأغبياء فى عالم المجدّين والأذكياء[2] .

«لقد اكتفينا نحن مسلمى اليوم بمواقف الرفض والإدانة،

---

(1) عمر عبيد حسنه/ مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، ص 20 .

(2) المرجع نفسه ، ص 20 .

للاستشراق والتنصير . . اكتفينا بالانتصار ، والانحياز العاطفى للإسلام ، وخطبنا كثيراً ، وانفعلنا أكثر ، ولم تعْلُ إلا أصواتنا ، ولانزال نحذر من الغارة على العالم الإسلامى ، القادمة من الشرق والغرب ، ومن المخططات الصهيونية الماكرة ، والصليبيةالحاقدة ، لقد أصبح ذلك يشكل عندنا مناخاً ثقافياً ، وإرثا فكرياً ، وطريقاً أمثل للوصول الى المناصب والزعامات ، دون أن تكون عندنا القدرة على إنضاج بحث ذى قيمة فى الموضوع ، أوإيجاد خطة أو وسيلة مدروسة فى المواجهة أومحاولة جادة لتقديم البديل الصحيح للسيل الفكرى والثقافى ، والإعلامى ، والأكاديمى ، القادم من هناك ، إلا من رحم الله من جهود فردية تمثل إضاءات ، كما أنها تمثل فى الوقت نفسه إدانات لهذا الفراغ ، والادعاء ، والعجز ، والتخاذل الفكرى » [1] .

خامسا: ضعف التربية الإسلامية فى بلاد المسلمين وقصور مناهج التربية فى المؤسسات التربوية والتعليمية وعجزها عن التأثير النافع القوى فى الأجيال الناشئة ، التى تتخرج بدون تربية مؤثرة أو حصانة قوية .

والتربية الإسلامية التى نعنيها ليست ذلك الكتاب المعنون

---

(1) المرجع نفسه ، ص 20 .

بها، الذى يحتجز زمناً من اليوم الدراسى كما هو واقع الحال فى كثير من بلاد المسلمين . . وليست مجموعة بحوث علمية فى فروع الشريعة، أو العلوم الشرعية، وإنما هى فلسفة كاملة تسهم فى بنائها، وتحقيقها وتجسيدها ، وتحويلها إلى واقع عملى متحرك، كل المواد الدراسية، والمعارف، والممارسات التى تبدأ مع الفرد إبتداءً من طفولته التى تغرس فيها بذور مستقبل حياته السلوكية وتنمى فيها حواسه، ومروراً بكل موارده الثقافية والعلمية والتدريبية، وانتهاءً بمجموعة الخبرات والمسالك المتراكمة، التى يتحصل عليها فى شيخوخته وينقلها إلى الأجيال المتعاقبة من بعده .

فالتوهم أن التربية تقتصر على كتاب أو كتب، أو أن التربية الإسلامية حدودها كتاب التربية الإسلامية المدرسى ، هو بحد ذاته سبب من أسباب الخلل والعجز الذى تعانى منه العملية التربوية، والقصور فى إنتاج الإنسان الصالح المتكامل .

لذلك لابد من إعادة النظر فى الوسائل التربوية لتكون قادرة على استرداد دور الأمة المسلمة فى الشهود الحضارى، وإعادة نسيجها الاجتماعى، وإحداث التفاعل بينها وبين الإسلام وتخليصها من الرؤية النصفية والجزئية، التى تستحوذ عليها والتى نأت بها عن مقاصد الدين وأهدافه ، وعطلت قدرتها على السير فى الأرض، والنظر فى سنن الله فى الأنفس والآفاق،

واكتشاف القوانين والأقدار التى تنتظم الحياة والأحياء ، وامتلاك الوسائل التى لابد منها لتحقيق مقاصد الدين والقيام بأعباء الاستخلاف الإنسانى(1).

سادسا: ومن أسباب كثرة الفتن فى هذا الزمان أيضاً، ضعف الصلة بالله، وعدم اللجوء والفرار إليه، وعدم العوذ به، والاعتصام بحبله المتين، ودينه القويم، فضلاً عن ضعف الصلة بالقرآن، والإقبال عليه، والتعامل معه والحياة فى ظلاله ، الحركة به، مما أدى إلى تضييع الهوية لهذه الأجيال، وتغبيش نظرتها، وفقدانها لمحورها الثابت وأساسها الراسخ (2) .

سابعا: حب الدنيا ونسيان الآخرة لأن المتأمل فى زماننا فى هذه الفتن قد يجد أن حب الدنيا وحب الظهور قد يكون من أسباب الفتن التى داهمت المسلمين فى زمننا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ورحم الله الإمام أبا حازم عندما دخل على الخليفة سليمان ابن عبد الملك فقال الخليفة : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ونحب الدنيا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم والنفوس تحب العمار وتكره الخراب وهذه نظرة المؤمن فى كل زمان ومكان . .

---

(1) انظر/ مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة ص 53 – 63 .

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدى/ هذا القرآن ص 217 .

أنواع الفتن

اعتبر العلامة ابن القيم الفتنة نوعين[1] : فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ، وقد يجمعان للعبد، وقد ينفرد بأحدهما ثم قال : ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى ، فهناك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت فى ضلال سيىء القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله .

وقال أيضاً : وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خَفى على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهى من عمى فى البصيرة وفساد فى الإرادة .

وبين أصل كل فتنة فقال : وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأى على الشرع، والهوى على العقل ، فالأول أصل فتنة الشبهة ، والثانى : أصل فتنة الشهوة . ففتنة الشبهات تدفع باليقين وفتنة الشهوات تدفع بالصبر .

(1) إغاثه اللهفان 2/ 166 .

ويضيف الداعية عادل الشويخ على هذا التعريف بقوله [1] :

إذا كانت فتنة الشبهات لها النصيب الأوفر فى انحراف النصارى الضالين، فلليهود السهم الأكبر من فتنة الشهوات الذى أدى إلى ضلالهم وغضب الله عليهم، بما جحدوا به من النعم، وعبادتهم لعجل الذهب، وما استحلوه من المحارم حرصاً على دنيا زائلة ، أو حباً فى متاع فان ، ووصفهم رب العزة بأنهم أحرص الناس على حياة ، واختّار الله تعالى أمة الإسلام خير الأمم لأن تكون الوسط بين الإفراط والتفريط ، وأنها على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم ، وليس بصراط النصارى الضالين ، ولا اليهود المغضوب عليهم .

وقد جمع سبحانه وتعالى بين الفتنتين تحذيراً لأمة محمد ـ ﷺ ـ فقال : **﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[2] .

فأوضح(والكلام لازال للدكتور الشويخ) أن الخلاق وهو النصيب المقدر، كان من شهوات الدنيا، ثم أردفها تعالى بالخوض فى الباطل وهى فتنة الشبهات، والأولى تقود إلى

(1) الدكتور عادل الشويخ/ مسافر فى قطار الدعوة ص 266 .
(2) الآية 69 من سورة التوبة .

البدع، والانحراف، والزيغ، والقاء الشبهات الفاسدة، والتأويلات الشاذة، ثم قد تقود إلى الشرك أو الكفر، ولهذا يلاحظ أن أكثر الملحدين أو الكفار كان منشؤهم من فتنة فى الشبهة حيث الجهل بالشرع، أو القول بتأويل فاسد تبعاً لغرض فاسد أو هوى متبع، وقد سقط فى هذه الفتنة ناس من أهل القبلة كالروافض والخوارج[1] والمعتزلة[2] وكثر الخارج فيهم من الملة، لأن الشبهة قد تقود إلى الكفر أو الشرك، كما سقط فى

(1) الخوارج: جملة من الفرق، تفرعت عن الذين خرجوا على الإمام على رضي الله عنه وعلى معاوية بعد حادثة التحكيم المشهورة: وصارت لهم آراء ومذاهب ومقالات تفصيلية فى مسائل مختلفة من أبرزها: قولهم بأن العبد يصير كافراً بمجرد ارتكاب الذنب، ولذلك كفروا معظم الصحابة ومنهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين، انظر لمعرفة فرقهم وتفاصيل مقالاتهم: اعتقادات الفرق للرازى (51) وما بعدها: والتبصير فى الدين (45) وما بعدها، والملل والنحل (1/ 195-256) من طبعة الأزهر، والفَرْقُ بين الفرق (45-93)، والعقائد والفرق الإسلامية لعرفان عبد الحميد.

(2) المعتزلة: فرقة يسميهم جماهير المسلمين بالمعتزلة، ويسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وهم يرون أنه لاشيء قديم سوى الله سبحانه وتعالى: ولقد اشتهروا بالقول بخلق القرآن الكريم، وأن الله - سبحانه وتعالى - يتصف بصفات لا تميزلها وإنما هى قائمة بذاته وإن عليه- سبحانه وتعالى - اختيار فعل الأصلح لعبده، ولهم أصول عرفت بالأصول الخمسة يقوم عليها مذهبهم، وهم فرق عدة.

راجع لمعرفتهم ومعرفة تفصيل مقالاتهم: اعتقادات الفرق للرازى (23) وما بعدها، والتبصير فى الدين (63) وما بعدها، والملل والنحل (1/ 61-132) من مطبعة الأزهر، والفرق بين الفرق(93-190)، والعقائد والفرق الإسلامية لعرفان عبد الحميد.

الفتنة أناس آخرون، فوقعوا فى المحارم، كالزنا وشرب الخمر، وترك العمل، والتساهل بالذنوب وجرت على مناهجهم أقوام من ذرارى المسلمين. لا يزالون حتى اليوم، ولما ضرب الله تعالى للمسلمين مثل اليهود، والنصارى ليحذرهم أن أمة محمد - ﷺ - قد تقع فى بعض هذه الفتن، وبدرجات متفاوتة، تبتعد أو تقترب من الخط المستقيم، فإذن ينبغى على المسلم أن لايغتر ويحذر من التشبه بالأمم التى حادت عن الصراط المستقيم. انتهى.

(أ) فتنة الشبهات[1]

لعل فى مقدمة أسباب الوقوع فى الشبهات هو قلة العلم، وسيما عند اقتران ذلك بفساد القصد واتباع الهوى وعندئذ تكون البلية العظمى، والمصيبة الكبرى، حيث يضل الهوى عن سبيل الله، ومآل هذه الفتنة إلى البدعة والشطط، بل تقود إلى الكفر والنفاق، ولهذا فلا يزال يشاهد ويرصد قديماً وحديثاً أن المرتدين والخارجين عن الدين، غالباً ما يكونون من أهل البدع، أو من بيئة كثرت فيها البدعة وعم فيها الجهل، ومما يتفرع من هذه الفتنة ويدخل فى نطاقها، تبعًا للجهل بالويلات المسارعة إلى الإفتاء والتعالم، أو ادعاء المعرفة، أو مناقشة الأمور بين غير الأكفاء، أو إشراك من هم دون الوعى بموضوع المناقشة مما قد يقود إلى الفتن، كما هو معروف ومشاهد فى حياة الدعاة، ولعل

(1) انظر / مسافر فى قطار الدعوة ص 256-262.

من أكبر فتن العاملين للإسلام هذه الأيام، المسارعة إلى مناقشة أمور تقصم ظهور الرجال قبل بلوغ العلم الكافى، ولا المعرفة الكافية، وترى من هم فى أول الطريق، ولما يبصروا بعد مواقع الأقدام من الطريق يناقشون اختلاف الفقهاء ، وأحاديث الآحاد، وحكم خلافة المرأة، ويقيمون الأحكام على الجماعات والمواقف والرجال، وهم لا يزالون فى أول الطريق فكراً ، وفى بداية الشوط عملاً وما مثلهم إلا كراكب أدرك القطار بالكاد، وينبغى له أن لايفوته السفر، فهو معلق بآخره ومع هذا فهو يريد الاستفصال عن هندسة القطار وآلاته، ويبحث عن طبيعته ومميزاته، كما يسأل عن ركابه ومشكلاتهم ، وعن حوارهم ومسائلهم وهو لما يركب بعد . .

ومن الفتن التى أساسها العلم الناقص إلحاح البعض بطلب المراتب العالية من الآخرين، وسلوكه وإياهم غير طريق الوعظ الدقيق ، والذى غالباً مايأتى بالنتائج الإيجابية، وإنما بسلوك طريق الأخذ بالشدة، وبالتعنيف والتبكيت، بل ويريد بعض هؤلاء من الآخرين النسج على منوالهم فى الأخذ بالأحوط . وينسى أن الله تعالى خلق الناس مراتب. وكذلك جعل الأمور المطلوبة فى الإسلام مراتب ودرجات : منها المستحب الذى رغب الشارع فى فعله ولا حرج فى تركه .

ومنها المسنون سنية مؤكدة، وهو ما واظب النبى ﷺ على فعله ولم يتركه إلا نادراً، ولم يطلبه إلا جازماً، وقد كان من

الصحابة من يترك مثل هذا أحياناً حتى لا يعده الناس واجباً فيحرجوا أنفسهم، كما ورد عن أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) أنهما كانا يتركان الأضحية لذلك .

ومنها : الواجب - كما فى بعض المذاهب - وهو ما أمر به الشارع وإن لم يصل الأمر إلى درجة القطع .

ومنها الفرض، وهو ما ثبت وجوبه بطريق قطعى لا شبهة فيه، ورتب الشارع على فعله الثواب وعلى تركه العقاب، ويلزم من تركه الفسق ، ومن جحده الكفر .

ومن المعلوم أن الفرض نوعان : فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين . . . وفرض عين على كل من يلزمه .

وفرض العين كذلك درجات، فهناك فرائض اعتبرها الإسلام أركاناً أساسية وهى خمس : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً . »

وهنا يتبين ضرورة أخذ المربى للدعاة بالحسنى ، وتكليفهم بما يطيقون، وتشجيع الأفراد كل فى مجال همته ونشاطه، دون أن يمنع ذلك من تصعيد الهمم، وإذكاء النشاط بالوعظ

والإرشاد، والمداراة والتشجيع، وأن يأخذ من يشاء بالعزائم فى خاصية نفسه دون إلزام للآخرين بالمراتب العالية .

ومن أشد فتن العلم أيضاً، قدرة المتعلم على التبرير، حيث يتعلل المتعالم الذى لم يخالط علمه بشاشة القلب، بترك الكثيرمن المأمورات، أو إتيان بعض الأعمال المفضولة ويجد لها من الاسانيد الشيء الكثير، ويحاول تصيد الرخص [1]، أو أقوال الفقهاء الضعيفة، وقد لا يكون هذا التبرير أمام الناس ولكنه ليقنع نفسه بالأمر، فيوقعه الشيطان فى الزلل، أو يمنعه من بلوغ المراتب العالية، وبالتالى يسقط فى حبائل الشيطان من ثغرة العلم، وهو لا يدرى . . . .

« وهذا حال كثير من المتدينين يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهى وجهاد يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هى العليا لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا فى الفتنة التى هى أعظم مما زعموا أنهم فروا منه، إنما الواجب عليهم القيام بالواجب، وترك المحظور، وهما متلازمان، وإنما تركوا ذلك لكون نفوسهم لا تطاوعهم إلا على فعْلهما جمعياً ، أوتركهما جمعياً مثل كثير ممن يحب الرئاسة أو المال، وشهوات الغى،

(1) راجع كتابنا منارات هادية على طريق الدعوة والداعية ص 41-44 .

فإنه إن فعل ما وجب عليه من أمر ونهى وجهاد وإمارة، ونحو ذلك فلابد أن يفعل شيئاً من المحظورات . . . . »[1].

فانتبه ، وحذار ، أيها الداعية من أن يستزلك الشيطان بترك العمل بحجة التواضع أوترك مسؤولية- إذا وجبت عليك . . . بحجة الزهد، أو ترك الدعوة بحجة الحذر أو ترك الأمر بالمعروف بتبريرات العقلانية، أو ترك الاختلاط مع الناس على أساس عدم وجود النية الكاملة .

وحذار أيضاً من قول بعضهم، بالامتناع عن الكلام خوف المباهاة، أو ترك الدعوة إلى الله، عزوجل - بحجة خوف الرياء وإنما الحديث واجب ، وإخلاص النية لله وإجب آخر ، فلا ينبغى ترك أحدهما، والمتحدث بإخلاص أفضل بكثيرمن الصامت بإخلاص فليس كل صمت تقوى، ولا كل سلبية ورعاً، وقد يمتلك بعض الدعاة عقلاً راحجاً، أو فكراً ثاقباً أو إبداعاً متميزاً، ويزينه بطلاوة الحديث ، أو بطء الفكرة، ورزانة الأسلوب ولاتكاد تسمع شيئاً منه من لحن القول أو قرينة الرياء، وما على الداعية إلا أن يتذكر فضل الله عليه، ويتفكر فى قدرة الله عليه، وما هو صائر إليه . وإن النعم تزول ، والفضل من الله أولاً وآخراً .

---

(1) فتاوى ابن تيمية 28/ 168 .

ب- فتنة الشهوات [1]:

لقد سبق الحديث عن أحد جانبى وعثاء الطريق، بذكر فتنة الشبهات، وهى وإن كانت أهم الفتنتين، وأخطر المحنتين، ولكنها على الأعم الأغلب، تقل وسط الدعاة أو تخف حدتها فى غالب الأحوال، أو لا تطل برأسها إلا فى أوقات المحن والشدائد، بينما الفتنة الأخرى، المتعلقة بالشهوات هى الغالبة فى أوساط الدعاة، ومنها ينفذ الشيطان، وفى أجوائها تنحر الهمم وتهبط الأرواح، ومن نتائجها يحصل الفتور ويتعطل العمل، فكان لزاماً الحديث عنها حتى يتمكن من اتقائها، والعمل على صدّها، وبالتالى ترتفع الهمم وتقل المتاعب، فيمكن قطع طريق السفر بهمة ونجاح.

إن فتنة الشهوات تتعلق بالهوى، ومصدرها النفس وإبليس والدنيا، وهى أول فتنة أبينا آدم عليه السلام، حيث استجاب لإغراء إبليس فأكل من الشجرة، ولاتزال ذريته - وفق مشيئة الله - يقعون فى الشهوات، ولا ينجون منها إلا بتوفيق من الله وعون، سواء أكانت الشهوات بدنية أم نفسية.

ولما كان ابن آدم مخلوقاً من الحمأ المسنون ففيه إذن من صفات الطين، ومن صفات النار، وشهواته مدارها على هذين

(1) انظر/ مسافر فى قطار الدعوة ص265-279.

القسمين فمنها ما هو متعلق بمادة الطين حيث الركون إلى مادة الأرض، وشهوات الطين، فيلهث وراء شهوات الجسد الترابية، كشهوة النساء (ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء، ويقال فى النساء فتنتان، وفى الأولاد فتنة واحدة، فأما اللتان فى النساء، فأحدهما: أن تؤدى إلى قطع الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأولاد، والثانية: يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام، وأما البنون فإن الفتنة واحدة، وهو ما ابتلى بجمع المال لأجلهم. . .) [1].

إن على المسلم ـ والداعية خصوصاً ـ مهما شعر بقوة شخصيته، أو رجاحة عقله، الحذر من فتنة النساء، سواء بالابتعاد عن دواعى الفتنة، أو مقدمات الرذيلة، : مهما كان التبرير، ولقد حذر العلماء من تقرب الرجال من النساء حتى ولو بحجة تعليمهن للقرآن، فعن جماعة من العلماء والزهاد، ومنهم ميمون بن مهران، الذى يقول: (ثلاث لا تبلون نفسك بهن، لا تدخل على السلطان، وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تصغين بسمعك إلى هوى فإنك لا تدرى ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امرأة، ولو قلت أعلمها كتاب الله) [2].

---

(1) تفسير القرطبى 29/4.
(2) سير أعلام النبلاء 17/5.

والشهوة الثانية أو الفتنة الثانية التى حذر منها الرسول ﷺ هى فتنة المال سواء بكثرته ونقصه، فما أكثر ما تؤدى هذه الفتنة بصاحبها إلى الزهو والاعتزاز وبالتالى تقود إلى نسيان المنعم، وما ينبغى له من الحمد والشكر، وكم دلت التجارب على مشاهدة بعض العاملين الدائبين فى سن الشباب، وما تكاد أيديهم تصل إلى المال، أو إلى شىء من الثراء، أو انفتاح باب من أبواب الرزق، حتى يقع ذلك العامل صريعاً للفتنة، ونشاهده يلهث وراء جمع المال تاركاً الأولى والأهم، وكان تنبيه المصطفى ﷺ لذلك بأسلوب عملى، وصورة مؤثرة، فلقد مرَّ وأصحابه يوماً بشاة ميتة، فقال لهم: «**أرأيتم هذه هانت على أهلها؟** قالوا: ومن هوانها ألقوها يا رسول الله، فقال: **للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**»(1).

وهنا لابد لنا من الحديث عن أسلوب يزاوله أولياء الشيطان فى الضغط على أولياء الرحمن، وليتخلوا عن مبادئهم، وعن دينهم، وعن عقيدتهم، وعن العمل لاستئناف الحياة الإسلامية النظيفة، وإقامة الدولة الإسلامية التى تحكم بشرع الله وتسعد الناس كل الناس فى حياتهم مسلمين وغير مسلمين إن عاشوا تحت كنفها، ألا وهو التهديد فى الرزق.

---

(1) رواه أحمد.

وقديماً توجس المشركون خيفة من اتباع هذا الدين ، والسير وراء سيد المرسلين ﷺ ، لقد خافوا الفقر والجوع، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(1).

وقال الله تعالى فى سورة العنكبوت ذاكراً نعمته عليهم فى توفير الأمن الغذائى والأمن النفسي والأمن الصحى والأمن العسكرى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾(2).

إن هذا الأسلوب، أسلوب التهديد فى الرزق يبرز واضحاً ويظهر واسعاً فى عصرنا الحاضر فى القرن العشرين، قرن التمدن والحضارة والحرية المكفولة بنص الدستور كما يزعمون.

«إن الطغاة وزبانيتهم لا يستسلمون بسهولة أمام صبر الدعاة إلى الله واستعلائهم على الفتنة التى يوقعها الطغاة وزبانيتهم بهم، مما يزيد الحقد فى قلوبهم استعاراً، فيدفعهم ذلك إلى تصعيد شراستهم ووحشيتهم فى محاربة الدعاة إلى الله.

---

(1) القصص 57.
(2) العنكبوت 67.

وحين يدرك الطغاة أن نفوس الدعاة إلى الله تستعصى على كل أفانين التعذيب الجسدى والنفسى، فإنهم يوجهون حقدهم إلى معدهم ومعد أزواجهم وأبنائهم فيشنون عليهم حملة تجويع من خلال محاصرتهم فى أرزاقهم، ظانين، وبئس ما يظنون أن أسلوب التجويع سينجح فى تطويع الدعاة إلى الله» [1].

«إن على الداعية حين يحاصره الطغاة فى رزقه ورزق عياله، أن لا يظن أن الطغاة قد نجحوا فى الحيلولة بينه وبين رزقه. ذلك هراء لا يستوى مع الإيمان الصادق، إن المؤمن الصادق الإيمان يدرك يقيناً أن أمور الرزق بيد الله وحده، فهو الذى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، وهو الذى وحده يقدر رزق العباد فإذا كان بلاء المؤمن أن يجوع ويجوع أهله بسبب قلة رزقه، فليس ذلك من فعل الطغاة وزبانيتهم، وإنما لأن إرادة الله قضت أن يقل رزقه، وما الطغاة وزبانيتهم إلا أدوات لتنفيذ إرادة الله عز وجل، إنهم، أولئك الطغاة، لا يملكون أن يضمنوا رزق أنفسهم، فأنى لهم أن يتحكموا فى أرزاق الناس . . . ؟ [2].

(1) زياد أبو غنيمة/ وبشر الصابرين ص 64-65.
(2) نفس المرجع/ ص66-67.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(1).

«إن على الداعية إلى الله حين يحاصره الطغاة فى رزقه، تجويعاً أو فى الحيلولة بينه وبين العمل، أن يتيقن بأن هذه الشدة العابرة لن تطول أو تقصر إلا بمقدار ما قضت به إرادة الله عز وجل، وليس حسبما يريد الطغاة وزبانيتهم، فإن الطغاة وهم يحاصرون الداعية إلى الله فى رزقه ورزق عياله إنما يمارسون عملية احتيال وابتزاز ضده يراودونه عبرهما عن دينه وعهده وبيعته مع الله عز وجل، فحذار أن يرضخ الداعية إلى الله إلى هذا الابتزاز، وخير له أن يجوع بل أن يموت جوعاً من أن يبيع دينه وبيعته وعهده مع الله بعرض من الدنيا زائل، مالاً كان أو وظيفة» (2).

نعم قد يستغل الأعداء رغبة نفر من الناس فى الإمارة والزعامة، فيلينون، ويتراجعون وهذا يحدث فى كل زمان ومكان، إذ ينسلخ هؤلاء من دينهم ودعوتهم ويغيرون ويبدلون، تأمل معى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ

(1) الروم: 37.
(2) زياد أبو غنيمة/ وبشر الصابرين ص67.

أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1).

إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على خبرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات.

إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخًا.. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.. أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟.. ها هو ذا ينسلخ من آيات الله، ويتحرر من الغطاء الواقي، والدرع الحامي، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه.. ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد.. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين. ثم إذا هو

(1) الأعراف: 176,175.

مسخ فى هيئة الكلب : يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد [1] .

ثم يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ بعد ذلك :

«وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة الدين ثم يزيغ عنها ، ويعلن غيرها ويستخدم علمه فى التحريفات المقصودة ، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل ؛ يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدى على سلطان الله وحرماته فى الأرض جميعاً» !

لقد رأينا من هؤلاء من يعلم ومن يقول : إن التشريع حق من حقوق الله ـ سبحانه ـ من ادعاه فقد ادعى الألوهية ، ومن ادعى الألوهية فقد كفر . ومن أقرَّ له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضاً ! . . ومع ذلك . . مع علمه بهذه الحقيقة ، التى يعلمها من الدين بالضرورة ، فإنه يدعو للطواغيت الذين يدعون حق التشريع ، ويدعون الألوهية بادعاء هذا الحق . . ممن حكم عليهم هو بالكفر ! ويسميهم «المسلمين» ! ويسمى ما يزاولونه إسلاماً لا إسلام بعده ! . . ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب فى تحريم الربا كله عاماً ، ثم يكتب فى حله كذلك عاماً آخر ، ورأينا منهم من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس ، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه .

(1) فى ظلال القرآن 2396/9 .

فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصداقاً لنبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين؟ . .

إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهى إلى المسخ فى مرتبة الحيوان.

والحياة البشرية ما ينى تطلع علينا بهذا المثل فى كل مكان، وفى كل زمان، وفى كل بيئة . . حتى إنها لتمر فترات كثيرة، وما تكاد العين تقع على عالم إلا وهذا مثله . فيما عدا الندرة النادرة ممن عصم الله، ممن لا ينسلخون من آيات الله، ولا يخلدون إلى الأرض، ولا يتبعون الهوى، ولا يستذلهم الشيطان، ولا يلهثون وراء الحطام الذى يملكه أصحاب السلطان! . . فهو مثل لا ينقطع وروده ووجوده، وما هو بمحصور فى قصة وقعت، وفى جيل من الزمان! . .

ولقد رأينا من هؤلاء . . . ـ والعياذ بالله ـ فى زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه، أو كمن يعض بالنواجذ على مكان له فى قعر جهنم، يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه فى الحلبة، فهو ما ينى يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا

فى جهنم! وما ينى يلهث وراء هذا المطمع لهاثاً لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا[1].

وأقول للذين تعرضوا لفتنة المال، إن لكم فى أسماء المال لعبرة، فاسمعوا ما قيل فيه، وفى الدرهم والدينار، وظلال المشاكلة اللفظية فيها:

«فالذهب مأخوذ من الذهاب، والفضة مأخوذة من انفض الشيء، تفرق، ومنه فضضت القوم فانفضوا، أى فرقتهم فتفرقوا، وهذا الاشتقاق يشعر بزوالهما، وعدم ثبوتهما كما هو مشاهد فى الوجود، ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول بعضهم:

النار آخر دينــــار نطقتَ به والهمُّ آخر هذا الدرهم الجــــارى
والمرء بينهما إن كان ذا ورعٍ معذَّبُ القلب بين الهمّ والنار[2]

والمتأمل فى الواقع أو فى التاريخ - إن كان ذا لب - يشاهد تســاوى الناس فى الكفن بعــد الموت، وكم ترك الأمــوال أصحابها. ورحل أهل الغنى عن الدنيا كما رحل أهل الفقر.

- لقد تحدثنا فى الصفحات الماضية عن بعض شهوات الجسد الترابية، كشهوة النساء، وشهوة المال والتى قد تدفع إلى الفاحشة

(1) فى ظلال القرآن 1398/9-1399.
(2) تفسير القرطبى 32/4.

كالزنا والسرقة أو ما هو من مقدماتها . وسنواصل الحديث عن إحدى الشهوات النارية التى تتعلق بحظوظ النفس [1] ألا وهى فتنة الأولاد .

لقد حبب الله الأولاد للإنسان ، فجعل النكاح من سنة الأنبياء والمرسلين ، بل وجعلهم سبباً للثواب ، إذا أدى الوالد الواجب وتعليم الدين نحو أبنائه ، ولكن قد يتحول الأولاد إلى فتنة كما يتحول المال كذلك ، وتقع فيهما الفتنة بالمعنى الخاص ، وكذلك :

«تطلق الفتنة على أعم من ذلك كقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [2] . قال مقاتل : أى بلاء وشغل عن الآخرة ، قال ابن عباس : فلا تطيعوهم فى معصية الله . . وقال الزجاج : أعلمهم الله ـ عز وجل ـ أن الأموال والأولاد مما يفتنون به ، وهذا عام فى جميع الأولاد ، فإن الانسان مفتون بولده ، لأنه ربما عصى الله بسببه ، وتناول الحرام لأجله ، ووقع فى العظائم إلا

---

(1) الشهوات التى تتعلق بحظوظ النفس كثيرة كالغضب ، أو التكبر على الخلق ، أو طلب الاستعلاء ، أو حب الرئاسة والوجاهة ، وما يرتبط بكل ذلك ويتداخل معها ، كفتنة الغربة ، والخوف على الأهل والأولاد (التى أفردنا الحديث عنها فى المتن لأهميتها) ، وفتنة اعجاب المرء بنفسه ، وفتنة التكاثر بأى عرض من أعراض الدنيا ، خفى عن الناس أو ظهر .

(2) سورة التغابن : 15 .

من عصمه الله تعالى . . . » [1] .

ولقد ورد أن الرسول ﷺ كان يخطب ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران .

(فنزل النبى ﷺ إليهما فأخذهما ، فوضعهما في حجره على المنبر . وقال : «**صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [2] **رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما** » [3] .

ودل الحديث على ضرورة التحذير من الانجراف وراء العاطفة الجارفة ، وإثارة اليقظة فى النفوس المؤمنة من تسلسل المشاعر ، وضغط المؤثرات ، من الانتقال من حد العاطفة الشرعى ومستواها الايمانى الذى يدل على الرحمة إلى المستوى المفرط الذى تنتقل فيه الوشائج إلى ترك العمل ، والفرار من الجهاد ، أو الاعتذار بالأولاد عن ترك ما هو أرجح .

فالأولاد ونظائرهم قد يكونون ملهاة عن ذكر الله ، أو سبباً للتقصير فى تبعات الإيمان ولكنها ضريبة الإيمان ، ونتيجة اليقين حتى تتحقق التضحية فى سبيل الله ، ويكون التجرد الكامل لله ـ عز وجل ـ ومثل هذه الفتن لابد منها ، وهى متفاوتة مختلفة ، وحصيلتها الأجر الجزيل والعاقبة الطيبة ، والله المتكفل بالعباد .

---

(1) إغاثة اللهفان 160/2 .

(2) سورة التغابن : 15 .

(3) رواه أحمد .

مواقف السلف عند الفتن

لقد كان لسلفنا الصالح عند حدوث الفتن مواقف ايمانية سجلها لنا التاريخ عبر القرون الماضية وينبغى لنا أن نقتدى بهم فى مواقفهم النبيلة، كيف لا وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ : «**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» [1] .

ومواقفهم تتمثل فى الآتى :

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

إن الاعتصام بكتاب الله هو المخرج من الفتن، وهو العاصم منها، وهو العروة الوثقى من الله بعباده، قدمه إليهم ليتمسكوا به .

وقد أخبرنا الله بأن المسلم المحسن المستسلم لله هو المستمسك بالعروة الوثقى المقدمة له من الله، المتمثلة بكتاب الله . فقال تعالى : ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [2] .

---

(1) رواه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ باب فضائل أصحاب النبى برقم **365**، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم برقم **2534** .

(2) لقمان : **22** .

وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بالاستمساك بالقرآن ، وأكد أنه على الحق المبين ، وهذا أمر موجه لكل مسلم من بعده ، يسير على طريقه ، ويستعلى على الفتن .

قال تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(1) .

وهذا ما قرره الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضي الله عنه : فقد روى الترمذى عن الحارث الأعور قال : «مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث . فدخلت على علىّ فأخبرته . فقال : أو قد فعلوها؟ قلت : نعم .

قال : ألا أنها ستكون فتنة ، والمخرج منها كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .

---

(1) الزخرف : 40-44 .

وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا** ﴾ (1) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم» (2).

وهنا لابد لنا أن نسأل لماذا يكون القرآن هو العاصم عند الفتن والمخرج منها؟

وللجواب على ذلك نقول (3):

1- لأن القرآن يصوغ المؤمن صياغة قرآنية، فيخرجه رجلاً ثابتاً صلباً، عزيزاً كريماً، يستعصى على الافتتان، ويستعلى على الفتن!.

2- ولأن القرآن يبصر المؤمن ببصائره القرآنية الهادية، فيكشف له حقيقة أعدائه، وأسلحتهم ووسائلهم ومكائدهم

---

(1) الترمذى، كتاب ثواب القرآن، باب: فضل القرآن. رقم **2908**.
وانظر تعليق الترمذى عليه، بأن فى إسناده مجهولاً، وفى الحارث الأعور مقال، ولذلك لا يصح رفعه لرسول الله ﷺ، والراجح أنه موقوف على علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه.

(2) سورة الجن: **1**.

(3) الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى/ هذا القرآن ص **220-221**.

ضده، فلا تغبش نظرته، ولا تظلم طريقه. فيواجه الأعداء على بينة وبصيرة.

3- ولأن القرآن يحذر المؤمن من الافتتان بالفتن حيث يعّرفه عليها وعلى أسسها وخلفيتها، ويكشف له سرها وزخرفها، ويريه غرورها وخداعها، ويكسبه بذلك المناعة والحصانة، فلا يقع صريعاً.

4- ولأن القرآن يربط نظر المؤمن بالآخرة، ويجعله يعيش حياته فى الدنيا غير مغتر بها وإنما أشواقه ونظراته وآماله موجهة إلى الجنة ونعيمها وخيراتها.

5- ولأن القرآن يعرف المؤمن على هدفه من الحياة وعلى وسائله لتحقيق هذا الهدف. وعلى مهمته ووظيفته فى الحياة، فلا يعود مفتوناً بتلك الفتن.

6- ولأن القرآن يوجه المؤمن إلى مواجهة الجاهلية، وتحدى الكفر والباطل ويقوم بتهيئته للمعركة وتعبئة قواه وحشدها للجهاد، فينوى هذا المؤمن مواجهة الفتن وأصحابها، ويتعامل معها بيقظة وبصيرة واستعلاء.

وهكذا كان سلفنا الصالح - رضى الله عنهم - معتصمين بالكتاب والسنة يبحثون عن دليل الشرع ويحكمونه فى كل أمر من أمور حياتهم، صغيرها وكبيرها، فى العقيدة والشريعة ،

وفى الإيمان والسلوك، وفى العمل والأداء، وفى نطاق الفرد أو الجماعة.

وعندما نطالب اليوم بإعادة المكانة الكبيرة للكتاب والسنة. كما كانا محور الدراسة والتعليم والتشريع، ولا يجوز استبدالهما بآراء الرجال، ولا يجوز إلغاؤهما بحجة أن الفقه الذى دونه الأئمة يكفى فى هذا الجانب.

ليس معنى ذلك أننا نلغى فقه الأئمة فذلك وهم، بل نرى أن فقه الأئمة هو محاولة دائبة لفقه الكتاب والسنة، فنحن ندرس الكتاب واللسنة، وندرس كيف فقه علماؤنا النصوص واستنبطوا منهَا الأحكام، أما الفقه المجرد الذى لا يصطبغ بالكتاب والسنة، فَإنه يبعدنا عن النبع الأصيل.

ولا يجوز إقصاء الكتاب والسنة عن دائرة الدراسة والفقه، بحجة أن ذلك مهمة المجتهد وحده ولاشك أن هذا مزلق خطر. فإن الذى لا يدرس الكتاب والسنة لن يكون عالماً بهما، ولكن ليس كل من درس آيات وبضع أحاديث أصبح عالماً يحق له الإفتاء، دون أن تكون عنده مؤهلات الفتوى، وقد يخالف جمهور العلماء قديمًا وحديثًا. وربما تطاول فخطأ الآخرين وجهّلهم، بزعم أنه ليس مقلداً، وأن من حقه أن يجتهد، وإن باب الاجتهاد مفتوح للجميع، وهذا صحيح، ولكن للاجتهاد شروطاً قد لا يملك أى واحد منها.

ثانياً: الالتفاف حول العلماء الدعاة إلى الله:

لقد استشهد الله سبحانه وتعالى بالعلماء على أجل وأعظم مشهود عليه: توحيده الذى أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وخلق الثقلين ليعبدوه به، فقال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (1) ولم يذكر لهم وصفاً غير وصفهم بالعلم، لأن المفترض فى طالب العلم أن يكون على حال تؤهله للشهادة بالحق وعلى الناس يوم يقوم الأشهاد، لا لشهادة الناس عليه بالتقصير فى البلاغ والبيان، فاصطفاهم الله لحمل شرعه، واستحفظهم كتابه. وفرشت لهم الملائكة أجنحتها، واستغفر لهم من فى السموات ومن فى الأرض، حتى الحيتان فى الماء، وأخذ الله سبحانه وتعالى عليهم العهد بالبيان وألا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ﴿**وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (2) فكان العلماء أعلم الناس بالله وشرعه ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ (3) ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**﴾ (4)

(1) سورة آل عمران: 18.
(2) سورة البقرة: 42.
(3) سورة سبأ: 6.
(4) سورة المائدة: 83.

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ (1) .

وهكذا هم العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، وأعداء الاسلام يحاولون زعزعة الثقة بين العلماء والمجتمع بصفة عامة والعلماء وشباب الصحوة بصفة خاصة.

وهنا ينبغى أن لا نحمل الكل ذنب البعض وأن نأخذ المحسنين من العلماء بتقصير المسيئين، فمن العلماء من رفض الباطل، ومن تصدى للظلم، ومن أبى الانحناء للطاغوت، ومن قاوم إغراء الوعد وإرهاب الوعيد، واحتمل العذاب، وصبر على البلاء، ورضى بالسجن والتنكيل بل رحب بالشهادة فى سبيل الله، ولم يقبل المساومة على دينه، أو التهاون فى شأن عقيدته.

فهؤلاء العلماء ينبغى لنا العيش فى أكنافهم لأنهم أنصار شرع الله عز وجل وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ : «**إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**» (2).

---

(1) سورة الرعد: 19 .

(2) رواه ابن ماجه، باب من كان مفتاحاً للخير برقم 237 .

وكان سلفنا الصالح يلتفون حول علمائهم وخاصة فى وقت الفتن، ذكر الإمام ابن القيم عن دور شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ فى التثبيت «وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله».

وعلى العلماء والدعاة الذين يتحملون هذه المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، والذين يدركون حقوق الأمة الكثيرة عليهم والتى منها السعى إلى جمع كلمة المسلمين ، والتشاور فيما بينهم فى الأمور التى تهم الأمة، والاهتمام بتصفية الاسلام مما علق به. فضلاً عن إيجاد الحماس وشحذ الهمم فى الأمة استعداداً لمواجهة العدو، والأخذ بالحذر من الأعداء ومخططاتهم وإعداد القادة الذين سيقودون الأمة بإذن الله تعالى إلى بر الأمان الذى فيه العز للإسلام والمسلمين. أقول على العلماء والدعاة الذين يتحملون هذه المسؤولية ويدركون هذه الحقوق أن يتمتعوا بقلوب واسعة، وصدور رحبة، وقدرة على تحمل الأعباء، وجلد على سماع النقد، وقد قيل فيمن يحصل على ولاية:

تولّاها وليس له عـــدوّ   وفارقها وليس له صديق

أى قد يأتى شخص وكل الناس يحبونه، وإذا به بعدها وكل الناس يبغضونه، ولذلك قال سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ :

«أحب أن يكون صاحب العلم فى كفاية، فإن الآفات إليه أسرع والألسن إليه أسرع»[1].

وكما ينبغى ذلك لصاحب العلم، فمن تأمرّ على آخرين أولى بذلك، وما شوهد فى التاريخ القريب أو البعيد، أن عالماً سلم من الألسنة، أو أميراً نجا من الملامة، ولكن لكل مخلص أجره واجتهاده، ويزداد الأجر بازدياد الصبر، وطريق الدعوة إلى الله تعالى الصبر على أذى الخلق.

ثالثاً: لزوم جماعة المسلمين:

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[2] وقال ﷺ: «**من فرق ليس منّا يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[3]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة» وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يصلى فى منى ركعتين أى يقصر وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يتم ويصلى أربع ركعات ومع ذلك صلى أربع ركعات فقيل له فى ذلك فقال: الخلاف شر فعلينا بلزوم جماعة المسلمين والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك فأنت حينئذ الجماعة.

---

(1) سير أعلام النبلاء 254/7.

(2) آل عمران: 103.

(3) رواه الطبرانى فى الكبير.

رابعاً: التسلح بالعلم الشرعى ثم العمل به:

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام، فكل ميسر لما خلق له، فطائفة تجاهد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله عز وجل، وطائفة تتعلم العلم الشرعى ليعمَّ الخير لهذه الأمة فحفظ الله بيضة الإسلام بالمجاهدين وحفظ شرائع الايمان بالعلماء والمتعلمين.

إن العلم الشرعى هو الذى يمنع الدعاة من الفتن، ويصدهم من استماع النجوى، ويكسبهم المناعة ضد الخلاف والمماراة، ويمنحهم الثقة بالأخوة والمنهج، ثم العلم بوقائع التاريخ، ومعلومات عن الواقع، وأثر الخلاف فى الأمم والجماعات، وتأثيرها على الأفراد والدعوات، وكيف صارت نتائج أهل الفتنة فى كل ملة، ومصير الانشقاق فى كل نحلة، ثم بعد العلم الانشغال بالعمل الصائب، والشغل الدؤوب، ولقد أدرك أحد أمراء عثمان رضي الله عنه بعد الفتنة، كيف يؤدى البطر والخلاف إلى الفتن، فأخذ قاعدة العمل من قول عبقرى الأمة عمر رضي الله عنه: «إنما مثل العرب، مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق».

فكان هذا الأمير طباً فى ولايته على الكوفة حيث تشتعل الفتنة فيها، فقيل عنه كما فى رواية الطبرى:

«فقد حزم أهلها، وساسهم سياسة صارمة، ووجههم إلى الغزو والجهاد، وفتح البلاد ليشغلهم عن اللهو والفساد، والخوض في أحاديث الإدارة والأمراء، ونقد الولاة والعمال، وكان هذا رأيه في تسكين الفتنة العامة حينما استشار عثمان أمراءه بالموسم في أمر الناس» [1] أي أن انشغال الداعية بالعلم الصائب، ومن ثم بالعمل الخالص، وعدم الخوض فيما يجهل، مما يدرأ عنه الفتنة.

خامساً: الصبر:

الصبر قرين اليقين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2] ولذلك قال سفيان الثوري - رحمه الله - بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته، صابراً على ما يدعو إليه، صابراً على ما يعترض دعوته، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، والذي لا يصبر فإنه من السهل أن ينخلع عن دينه لأي شيء يعترض طريقه، ومن السهل أن يتخلى عن منهجه وحكمته لأي استفزاز ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

(1) الدكتور عادل الشويخ/ مسافر في قطار الدعوة ص293.
(2) الآية: 24 من سورة السجدة.

وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[1] ، وقال : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[2] ، فالناس بعضهم غير مؤدبين بأدب الإسلام، وغير متخلقين بخلق القرآن ، وهم بمسيس الحاجة إلى من يعايشهم ويتعايش معهم ليسبر أغوارهم ويعالج أمراضهم، وهذا يحتاج إلى صبر طويل .

والهداية لا يمكن أن تأخذ طريقها إلى نفوس الناس وقلوبهم دفعة واحدة، ولابد لذلك من زمن ومتابعة وجهود تبذل لتؤتي أكلها باذن ربها . . وهذا يحتاج كذلك إلى صبر . .

إن على الداعية الممتحن وهو يواجه أنواع المحنة وبلواء الفتنة أن يهرع إلى ربه مثلما هرع سحرة فرعون، حين صب فرعون جام غضبه عليهم فتوجهوا إلى ربهم متضرعين : ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[3] .

إن على الداعية الممتحن أيضاً أن يتيقن أن صبره على المحنة والبلاء هو الصخرة التي تتحطم عليها أنواء المحنة، وتتكسر عليها مكائد الطغاة وزبانيتهم .

---

(1) سورة الروم: 60.
(2) سورة المزمل : 10.
(3) سورة الأعراف: 126.

﴿ إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (1) .

عندما ولدت الحركة الإسلامية فى مكة، لم تكد الجاهلية ممثلة فى قريش - تحس بالخطر الحقيقى الذى يتهددها من دعوة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وما تمثله من ثورة على كل سلطان أرضى لا يستمد من سلطان الله، ومن تمرد نهائى على كل طاغوت فى الأرض، والفرار منه إلى الله: فشنتها حرباً شعواء، وانتفضت تدافع عن نفسها، كما يدفع الكائن عن نفسه خطر الموت، وهذا هو الشأن الطبيعى الذى لا مفر منه، عندما تقوم دعوة خالصة لله رب العالمين فى مجتمع جاهلى يقوم على أساس ربوبية العباد للعباد.

وعندئذ تعرض كل فرد فى المجتمع الاسلامى الجديد للأذى والفتنة بكل صنوفها إلى حد إهدار الدم، ويومئذ لم يكن يقدم على هذا الدين إلا من نذر نفسه لله، وتهيأ لاحتمال الأذى والفتنة، وهى العناصر المختارة الفريدة.

وهكذا اختار الله السابقين الأولين من المهاجرين ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى مكة، ثم ليكونوا هم القاعدة

(1) سورة آل عمران: 120.

الصلبة فى المدينة مع السابقين [1] . فنالوا ما نالوا من الرضا والقبول والرضوان والنعيم المقيم فى الآخرة، والعزة فى الدنيا، وقطفوا ثمار صبرهم على المحنة والبلاء، وإنها لثمار مباركة يستحقها الدعاة الصابرون عن جدارة .

إنها صلوات من الله ورحمة وهداية .

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [2] .

إلا فليستبشر الدعاة إلى الله الذين يصبرون على البلاء ويستعصون على المحنة، فيخروجون من أتونها وهم أشد صلابة على عهدهم وبيعتهم مع ربهم، بذلك يبشرهم ربهم عز وجل : **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [3] .

سادساً : كثرة التضرع والإبتهال إلى الله عز وجل ، ودعائه أن يكشف الغمة، وأن يرفع البلاء، وأن يهدى إلى الحق، وأن يثبت عليه بالتوبة والاستغفار .

وانظر إلى فقه الصحابى الجليل فى هذا المضمار حيث

---

(1) شعبان زكى الفار/ سنة الابتلاء ص67-68 .

(2) سورة البقرة : 127 .

(3) سورة الحديد : 12 .

استنبط هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[1] .

كما ثبت في الصحيح عن جابر عن النبى ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[2] قال : أعوذ بوجهك فلما نزلت : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [3]قال «هاتان أهون» [4] .

وإنما تنفى الفتنة بالاستغفار من الذنوب والعمل الصالح .

سابعاً : الإكثار من الأعمال الصالحة من ذكر وصلاة وغيرها ، واعلم أن العبادة فى الهرج (أوقات الفتن) ليس كالعبادة فى غيرها من الأوقات .

ثامناً : الدعوة إلى الله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبث الطمأنينة فى قلوب الناس ، ورفع معنوياتهم وخصوصاً فى الفتن الكبرى [5] ، واعتزال الفتنة - إن كانت عامة - وعدم الانحياز إلى أى جانب ، حتى تتضح الرايات .

---

(1) ، (2) ، (3) سورة الأنعام : 65 .

(4) رواه البخارى .

(5) هى فتنة الدجال : وهى أعظم فتن المحيا فلن يفتن الناس فى حياتهم بمثل=

تاسعاً: الثقة بالله وأن المستقبل للإسلام:

أخى المسلم : مهما طال الليل فإنه مؤذن باقتراب الفجر فعليك بالثقة بربك وتأمّل قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ [1].

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يثبت أصحابه أخبرهم بأن المستقبل للإسلام وزرع فى قلوبهم الثقة بنصر الله عزوجل.

جاء فى البخارى عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو متوسد برده وهو فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت : يا رسول الله: ألا تدعو لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: « **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفرة فى الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى**

= فتنته. ففى الحديث: «**يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال، يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفه إياه قبلى نبى.. الحديث**» رواه ابن ماجة «انظر صحيح الجامع 7752.
لذلك كان الرجل المؤمن الذى يقتل الدجال هو «أعظم الناس شهادة عند الله رب العالمين» كما جاء فى صحيح مسلم. ذلك أنه ثبت فى أعظم فتنة المحيا.

(1) سورة يوسف: 110.

حـضـرمـوت لا يخـاف إلا الله والذئب على غنـمـه ولـكـنـكـم تستعجلون» [1].

وإننا اليوم عندما نردد بأن المستقبل للإسلام، لا نقول ذلك شعاراً مجرداً، وإنما نؤمن به إيماناً حتمياً وجازماً يدفعنا لكى ننشد مع وليد الأعظمى فنقول:

«مهما تمطى ليلنا الأسود

مهما استبد الظالم السيد

مهما عتا الأقزام والأعبد

ولوحوا بالقيد أو هددوا

عن نصرة الإسلام هل نقعد؟

كلا سنبقى دائماً ننشد

بفجره لابد يأتى الغد» [2].

فلا يكفى ترديد الشعار ولا حتى تصديقه إذا لم ينتج عن هذا التصديق عمل من أجل تحقيق الغاية. والدخول فى المعركة بين الحق والباطل يحتم على الجندى فيها أن يجعلها معركة إسلامية بحتة فى كل المجالات. فالمعركة ليست سياسية فقط بل إنها... فكرية، اقتصادية، اجتماعية، معركة يراد منها إنقاذ الأمة من «الجاهلية» كل «الجاهلية».

(1) رواه البخارى فى كتاب علامات النبوة فى الإسلام، وباب ما لقى النبى ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

(2) أغانى المعركة – فجر الغد ص 76.

فمن أراد الوصول إلى الوعد المنشود فعليه سلوك الطريق الصحيح، يجعلها إسلامية «الراية» «والخطة» إسلامية «القائد» و«الجنود».

فكيف يراد النصر لأمة لا تفقه عن عدوها الحقيقى؟ وأنى لها الانتصار وهى تعيش حالة «هستيريا» الاختلافات وتعيش حالة «غبش» فى التصورات، ولولا رحمة الله بها وما حفظ لها من سلامة قيمها لتعرضت للفناء التام.

ولم يبقَ لها من أمل فى بقاء وحياة إلا الطائفة من أبنائها المسلمين المخلصين ومشروعهم الحضارى المعاصر، فهم بصيص النور والفجر المأمول، فكلما احلولك الظلام، وادلهم الليل فإنه ـ لابد ـ وراء الأفق نور، وفى حضن الكون شمس ساطعة، فعبر ثنايا الظلام يبزغ الفجر، وكلما غلس الليل اقترب ميلاد النهار، فهزيمة الباطل وجيوشه حتمية فى سنن الله تعالى، فلا يُمكّن لأهل الباطل وتستقر الحياة دون هيمنه منهج الله فى الحياة.

وإن الناظر فى الأفق والمستشرف للمستقبل ليلمح وجود جيل

مسلم قادم، ينهل من تراث الأنبياء يعض عليه بالنواجذ، يقيل العثار ويستفيد من التجارب، ويقوم خططه وخطواته وينفض ما استجمع من ركام غيب وجه الإسلام الصحيح، وسبيله إلى ذلك: التوكل على الله والوعى على الذات وتحريرها، وإصلاح ذات البين.

الجهاد يدرأ الفتن

فريضة الجهاد كما هو معلوم فى الذروة بين فرائض الإسلام .. ولهذا فقد أعد الله سبحانه للمجاهدين أعظم الأجر، حثًا للمسلمين على الجهاد وترغيباً فيه وتشويقاً إليه وجعل الجهاد بالنفس والمال طريقاً لرحمته تعالى ومغفرته والخلود فى جنته.

والجهاد فى الإسلام لم يفرض لمرحلة معينة أو مكان معين أو زمان من الأزمنة. إن فريضة الجهاد ماضية باقية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولاتزال طائفة من هذه الأمة قائمة على هذه الفريضة لاتلين قناتها للأحداث ولاتفتر لها عزيمة، فأمة الإسلام أمة جهاد ورباط .. تعز بالجهاد وتقوى بالرباط وهى إن ركنت إلى الدنيا ذلت وهانت وتناوشها الأعداء من كل جانب .. ولذا فهى أمة لا تطول لها غفلة ولا تصبر على ضيم، لأن الإيمان الكامن فى أعماقها سرعان ما يوقظها ويشدها إلى الجهاد.

ولقد ذكر الله تعالى أن عدم اشتغال المؤمنين بالجهاد، يسبب ابتلاءهم بالفتن، التى تجعل البأس بينهم شديداً.

وقوله تعالى ﴿**إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾[1] قد يكون العذاب من عنده، وقد يكون بأيدى العباد، فإذا ترك الناس الجهاد فى سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد فى سبيل الله جمع الله قلوبهم،

(1) سورة التوبة : 39.

وألف بينهم، وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا فى سبيل الله، عذبهم الله بأن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض . . . [1]

وقد عبر الأستاذ (سيد قطب) عن هذه الوظائف لمفهوم الجهاد بقوله:

(لقد جاءت هذه العقيدة فى صورتها الأخيرة التى جاء بها الإسلام لتكون قاعدة للحياة البشرية فى الأرض لمن أتى بعدها ولتكون منهاجاً عاماً للبشرية جميعها، ولتقوم الأمة الإسلامية بقيادة البشر فى طريق الله، وفق هذا المنهج المنبثق من التصوير الكامل الشامل لغاية الوجود كله. ولغاية الوجود الإنسانى كما أوضحها القرآن الكريم المنزل من عند الله. . قيادتها إلى هذا الخير الذى لاتبلغه إلا فى ظل هذا المنهج، وتمتعها بهذه النعمة التى لاتعدلها نعمة، والتى تفقد البشرية كل نجاح وكل فلاح حين تحرم منها، ولايعتدى عليها معتد بأكثر من حرمانها من هذا الخير، والحيلولة بينها وبين ما أراده لها خالقها، من الرفعة والنظافة والسعادة والكمال.

ومن ثم كان من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهى الشامل، وألا تقف عقبة أو سلطة فى وجه التبليغ بأى حال من الأحوال .

ثم كان من حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة إليهم أحراراً فى اعتناق هذا الدين، لا تصدهم عن

(1)فتاوى ابن تيمية 15/ 44.

اعتناقه عقبة أو سلطة . فإذا أبى فريق منهم أن يعتنقه بعد البيان لم يكن له أن يصد الدعوة عن المضى فى طريقها ، وكان عليه أن يعطى من العهود ما يكفل لها الحرية والاطمئنان وما يضمن للجماعة المسلمة المضى فى طريق التبليغ بلا عدوان .

فإذا اعتنقها من هداهم الله إليها ، كان من حقهم أن لا يُفتنوا عنها بأى وسيلة من وسائل الفتنة ، لا بالأذى ولا بالإغراء ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى ، وتعويقهم عن الاستجابة ، وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة ضمانًا لحرية العقيدة وكفالة الأمن للذين هداهم الله وإقراراً لمنهج الله فى الحياة وحماية البشرية من الحرمان من ذلك الخير العام .

وينشأ عن تلك الحقوق الثلاثة واجب آخر على الجماعة المسلمة وهو أن تُحطّم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس فى حرية ، أو تُهدّد حرية اعتناق العقيدة ، وتفتن الناس عنها وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين غير ممكنة القوة فى الأرض ويكون الدين لله ، لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان ، ولكن بمعنى استعلاء دين الله فى الأرض بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول ولا يخاف قوة فى الأرض تصُدّه عن دين الله أن يبلغه وأن يستجيب له وأن يبقى عليه ، وبحيث لا يكون فى الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله وهُداه عن أهله ، ويضلهم عن سبيل الله بأى وسيلة وبأى أداة .

وفى حدود هذه المبادىء العامة كان الجهاد فى الإسلام وكانت هذه الأهداف العليا وحدها، غير متلبّسة بأى هدف آخر وبأى إشارة أخرى. إنه الجهاد للعقيدة لحمايتها من الحصار، وحمايتها من الفتنة وحماية منهجها وشريعتها فى الحياة، وإقرار رايتها فى الأرض، بحيث يرهبها من يَهُمّ بالاعتداء عليها قبل الاعتداء، وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها، لا يخشى قوة أخرى فى الأرض تتعَرض له أو تمنعه أو تفتنه. وهذا هو الجهاد الوحيد الذى يأمر به الإسلام ويعرفه ويثيب عليه، ويعتبر الذين يُقتلون فيه شهداء والذين يحملون أعباءه أولياء »[1].

فالفتنة تكون بعيدة عمن انشغل بالجهاد، ولهذا يكون العاملون المخلصون فى أمر دعوى جاد، من أبعد الناس عن ظلام الفتن، وليس أدل على هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ولقد أدرك السلف هذا المعنى وروى عن أكثر من شخص منهم وأحدهم سفيان بن عيينة، حيث يقول لعبد الله بن المبارك:

« إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين، وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: (لَنَهْدِيَنَّهُمْ). . . »[3].

(1) الظلال: جـ 1، ص 186-187، جـ 3، ص 154، ومحمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام- كتاب المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية، ص 78.
(2) الآية 69 من سورة العنكبوت.
(3) تفسير القرطبي 13/ 365.

الخاتمة

لاشك عزيزى - القارىء الكريم - بعد أن عرفت معنى الفتنة وأسبابها وكثرة تتابعها فى هذا الزمان، ومن ثم اطلعت على أنواع الفتن ومواقف السلف الصالح منها، أن تسأل ما هو المطلوب ؟

إن المطلوب باختصار - هو الثبات على دين الله - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] .

فالله سبحانه وتعالى يأمرنا فى هذه الآية أن لانموت إلا ونحن مسلمون، ولايتسنى لنا ذلك إلا إذا حافظنا على الإسلام فى حالة الصحة والسلامة والشدة والرخاء والعسر واليسر والمنشط والمكره، فإن الله الكريم قد جرت سننه أنه من عاش على شىء مات عليه، ومن مات على شىء بُعث عليه، والمسلم لايدرى متى يموت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2] إذ الموت غيب فمن أراد ألا يموت إلا مسلماً فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلماً وأن يكون فى كل لحظة مسلماً وهذا هو الثبات على دين الله حقاً، وأن يعمل لكى يتجاوز عقبة الفتن بشبهاتها وشهواتها، وتجاوز هذه العقبة هى التى توصله إلى الآخرة، فيقابل العقبة الأخرى

(1) الآية 102 من سورة آل عمران .

(2) من الآية 34 من سورة لقمان .

التى ما هى إلا صدى لهذه العقبة، فإن تجاوز عقبة الدنيا سَهُل عليه عقبة الآخرة وإن كان العكس صعب عليه تجاوز عقبة الآخرة.

إن حاجة المسلم اليوم إلى وسائل الثبات على دين الله أعظم وأشد من حاجة أخيه أيام السلف وأن الجهد المطلوب لتحقيقه أكبر وأعظم ذلك لأن المستقرىء لتاريخ الأمة الإسلامية - ونخص من ذلك تاريخ الفتن الداخلية والنكبات والخارجية ابتداءً من فتنة الردة، ودعوات النبوة الكاذبة التى استهدفت عقيدة الأمة وعالم أفكارها، ومروراً بالفتنة الكبرى، وما خلفته من إصابات فكرية، أدت إلى الرفض والخروج الذى لاتزال بعض آثاره ممتدة حتى اليوم، ومن ثم الإعصار المغولى والغزو الصليبى، والاستعمار الحديث وصولاً إلى الحقبة اليهودية التى يقع العالم الإسلامى تحت وطأتها اليوم - يجد أن حال المجتمعات التى تعيش فيها المسلمون اليوم أقسى وأمر فقد تكاثرت عليهم الفتن المتلاطمة كأمواج البحر فهم بنارها يكتوون وأصبح الحليم بسببها حيران وطار من هولها نوم الصالحين وقضت مضاجعهم فنال المتمسكون بالدين الثابتون عليه مثلا عجيباً « **القابض على دينه كالقابض على جمر** » وتحقق فيهم قول الرسول ﷺ « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبي للغرباء** »(1)

---

(1) رواه مسلم، وفي رواية «**فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس** » رواه أبو عمرو الداني بسند صحيح، وفى رواية « **طوبي للغرباء أناس صالحون، في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم** »رواه أحمد وهو صحيح .

بل بلغ من شدة الفتن وتأثيرها على المسلم أن ينخلع من دينه كما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه .

ألا إن ما ينبغى التأكيد عليه أن الصبر على الابتلاء والمحن والفتن مهما طال فسينتهى إلى النصر والعاقبة ستكون للمؤمنين بعد جهاد مضن ومحن كثيرة، وهذا هو طريق الرسل عليهم السلام: دعوة، ابتلاء، صبر، نصر مؤزر فى النهاية ، قال تعالى يخاطب رسول الله ﷺ بعد أن قص عليه قصة نوح وصراعه مع قومه، وصبره عليهم ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [1] .

« إن التحديات الكبرى، والأزمات الكبرى هى التى توقظ الشعوب والأمم من سباتها وتصنع الحضارة وتشكل التحولات الكبرى فى مسيرة الحياة، وتقضى على الصور المشوهة والعناصر الشائخة، والكيانات الرخوة فى حياة الشعوب، وتحفزها للإقلاع من جديد، ذلك إن إحباطات الماضى وخيباته، عند الأمم الحية، لا تقضى على إمكانات المستقبل . أو ما يمكن أن نسميه « خميرة النهوض الحضارى » وإنما تؤكد عليها، وتشير إليها وتثير فاعليتها، «ففتنة الردة، وادعاءات النبوة، كانت وراء تنبه الأمة لجمع القرآن - بعد أن استحر القتل بالقراء - وحماية حصن أفكارها . وقيمها . . والفتنة الكبرى، وما صاحبها كانت وراء التنبه لتدوين الحديث، وتأسيس مناهج الفهم للمصادر

(1) الآية 49 من سورة هود .

الإسلامية . . والإعصار المغولى الذى دمّر أشياء الأمة، وحرق وأغرق سجلات أفكارها، تحول لنصرة الإسلام . . لأن حضارة المغلوب كانت أقوى من سلاح الغالب . . والغزوات الصليبية، وَحَّدت الأمة، وأشعرتها بمخاطر الفرقة، والتحدى الثقافى، فكانت الدعوات إلى إحياء علوم الدين . . . . وإسقاط الخلافة، والاستعمار الحديث، والهجمة اليهودية، أثمرت الصحوة الإسلامية، وتجديد أمر الدين »[1].

أسأل الله تبارك وتعالى جَلَّت قدرته ، وعزت عظمته أن يثبتنا على طريق الإيمان ، وأن يتوفانا عليه ، وإذا أراد بقوم فتنة أن يقبضنا إليه غير فاتنين ولا مفتونين - ولا ضالين ولا مضلين .

اللهم إنا نضرع إليك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، وجلاء أحزاننا، وأن ترزقنا الإخلاص فى القول والعمل، والسر والعلن، وأن تكتب لنا الستر الجميل فى الدنيا والآخرة، وأن تتقبل منا ، وأن تجنبنا الفتن ما ظهر منا وما بطن، وأن تحفظنا بعنايتك، وأن تكلأنا برعايتك وحفظك يا أرحم الراحمين، ويا مجيب السائلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(1) عمر عبيدحسنة/ مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ص 87-88 .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	5
الفتنة لغة واصطلاحاً	9
كثرة الفتن وتتابعها	12
أسباب كثرة الفتن فى هذا الزمان	19
أنواع الفتن	26
أ- فتنة الشبهات	29
ب- فتنة الشهوات	34
مواقف السلف عند الفتن	46
الجهاد يدرأ الفتن	64
الخاتمة	68
الفهرس	72

مطابع الصقر
٠١٥/٤١٢٥٥٥ - ٠١٥/٤١٢٧٧٧